النظر إلى القبر

«وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ، جَاءَ رَجُلٌ غَنِيٌّ مِنَ الرَّامَةِ اسْمُهُ يُوسُفُ، وَكَانَ هُوَ أَيْضًا تِلْمِيذًا لِيَسُوعَ. فَهذَا تَقَدَّمَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ. فَأَمَرَ بِيلاَطُسُ حِينَئِذٍ أَنْ يُعْطَى الْجَسَدُ. فَأَخَذَ يُوسُفُ الْجَسَدَ وَلَفَّهُ بِكَتَّانٍ نَقِيٍّ، وَوَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ الْجَدِيدِ ... وَكَانَتْ هُنَاكَ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى جَالِسَتَيْنِ تُجَاهَ الْقَبْرِ» (متى ٢٧: ٥٧-٦١).

تأليف: ادي كلور

لقد وقع الآن أعظم حدث في كل العصور. لقد صُلب يسوع ابن الله ودُفِن.

لقد جرت أحداث القبض على يسوع في بستان جثسيماني، وعاصفة المحاكمة والصلب المُعَذِّب والآيات العظيمة من السماء التي تؤكد موت يسوع وألوهيته، جاء كل ذلك ومضى. أخذ رجلان (يوسف ونيقوديموس) وهما مشيران ومؤمنان في الخفاء، أخذا جسد يسوع وأتيا به إلى أقرب قبر يمكن استخدامه {لدفن جسد يسوع}. وضعا جسد يسوع في قبر يوسف الشخصي {الذي كان قد حفره لنفسه}. دفنوه على عجل ووقار. بعد ما لفا جسده بالكتان ووضعا مئة رطل من الطيب بين لفائف الكتان، ووضعوه على مُنْبَسَط مرتفع بارد في الضريح. ودحرجا حجراً كبيراً وختما به مدخل القبر. تصور أن جميع هذه الأحداث وقعت خلال فترة زمنية تقل عن أربع وعشرين ساعة!

بعض النساء اللواتي كن قد تبعن موت يسوع المؤلم وإجراءات دفنه جلسن في مكان قريب من القبر ينظرن إليه بصمت عظيم ووقار. كن ينظرن ويبكين ويتأملن ولا يقلن الكثير. كتب متى بشفقة شديدة قائلاً: «وَكَانَتْ هُنَاكَ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى جَالِسَتَيْنِ تُجَاهَ الْقَبْرِ» (متى ٢٧: ٦١). جلستا معاً منهكتا العواطف ومنذهلتان ومحتارتان وفاقدتا الحس من الحزن تنظران إلى حجر قبر يسوع.

أصبحت المدينة والمكان الذي صلب فيه يسوع صامتتان، ربما لم يعرفا حتى الآن عن هذه الجريمة البشعة التي أُرْتِكبت. لقد انصرف الجمع وتلاشى الضجيج واضمحل الأنين إلى سكون الموت. حل الظلام وتلاشى، ولكنه سيأتي مرة أخرى عند نهاية يوم الجمعة هذا وبداية السبت. مع انه كان لا بد لهاتين المرأتين أن تتركا سريعاً مراقبتهما، إلا انهما جلستا ونظرتا محاولتين فهم ما قد حدث، بينما تعبران بوجودهما عن محبتهما لربهما.

لنتصور أنفسنا جالسين بجانب تلك المرأتين، نعرف ما نعرفه من كتاب العهد الجديد عن موت يسوع، ناظرين إلى القبر ومدوخين ومرتعبين بكل هذا. كيف ستكون أفكارنا وتأملاتنا وملاحظاتنا الداخلية؟

لا شك أن ما حدث يسحقنا. عندما ننظر إلى القبر نفكر بكل ما قد حدث في ذلك اليوم.

لا يستطيع أحدنا أن يتصور كيف كان الصلب. لو كنا قد وقفنا أمام الصليب وشاهدنا الآلام ووحشية وبطء موت يسوع على الصليب، لإنسحقت نفوسنا بما رأيناه. لكنا قد رأينا جانب الحياة المستحيل فهمه. لكانت قد صعقتنا الأفعال التي تتم بعدم الاحساس والمخططات المميتة التي قام بها رجال الدين والوثنيون على حد سواء. من كان يظن أن الناس سيستجيبون إلى المحبة التي أبداها يسوع والخلاص الذي أتى به بهذه الطريقة؟

عندما نجلس ننظر إلى القبر يدور في عقولنا رُعْب ما عمله العالم بيسوع الذي أرسله الله ليخلصنا.

لا شك أن جلوسنا وتألمنا في القبر وعلمنا بحقيقة

موته يجعلنا نتأمل في ما يعني كل هذا. عندما ننظر بهدوء إلى المكان الذي رقد فيه مخلصنا نراجع في عقولنا بخشوع القصد الإلهي من موته ومدى تأثير ما قد حدث.

جاء يسوع إلى هذا العالم ليموت. وكان يعرف ما سيفعل به الإنسان. كان قد أوضح ذلك لرسله عدة مرات قبل ذهابه إلى أورشليم للمرة الأخيرة. تحدث مرقس عن إحدى المرات التي أخبر فيها يسوع رسله عما سيحدث:

> ... فَأَخَذَ الاثْنَيْ عَشَرَ أَيْضًا وَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ عَمَّا سَيَحْدُثُ لَهُ: «هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ، وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الأُمَمِ، فَيَهْزَأُونَ بِهِ وَيَجْلِدُونَهُ وَيَتْفُلُونَ عَلَيْهِ وَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ» (مرقس ١٠: ٣٢-٣٤).

تنبأ الرب بانه سيُسْتَهْزَأ به ويبصقون عليه ويجلدونه ويقتلونه. هذه هي الاستجابات الأربع التي إستجاب بها القادة الدنيويون والسياسيون ليسوع. وصف منفذو الحكم عليه بانهم رؤساء الكهنة والكتبة والأمم. لقد حدث كل ما قاله بالتفصيل.

لا تخبرنا الأسفار المقدسة بما حدث ليسوع فحسب، بل تخبرنا أيضاً بسبب حدوثه. لم يكن موته حدث أوقعه به الإنسان بقدر ما كان إظهار ما يعمله لأجلنا. وصف موته بانه فدية للذين يتبعونه (متى ٢٠: ٢٨). وقال ان دمه مسفوك من أجل مغفرة الخطايا (متى ٢٦: ٢٨). لقد وضع حياته من أجل الخراف (يوحنا ١٠: ١١). قال: «أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ». يوجد في مركز قصد الله الأزلي موت يسوع كذبيحة كفارة لخطايا العالم.

بينما ننظر إلى القبر نكون ملزمين بصنع قرارات قوية عن إتباع يسوع. لا بد أن نقرر في أعماق قلوبنا أن نكرس حياتنا للتلمذة. موت يسوع وحده يجعلنا نصنع مثل هذا التعهد. يوجد للمحاكمات والجلد والصليب والأحداث الأخرى ذات الصلة بموت يسوع قوة جاذبة؛ ولها إلزام المحبة الإلهية. قال يسوع: «إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ» (يوحنا ١٢: ٣٢). عند تفكيرنا بالصليب، نشعر بتلك القوة الجاذبة.

لنكرس قلوبنا لخدمة دائمة للذي مات من أجلنا مندفعين بالحزن والمحبة والفهم والتوبة.

هناك مكانين آخرين فيهما يجب أن نقف ونجلس دائماً – عند الصليب وبجانب القبر. نقف عند الواحد ونجلس عند الآخر. نرى عند الصليب ما عمله يسوع. الدم أحمر والألم شديد. عند القبر تأمل في ما عمله. تكون الصورة عميقة وتتجدد الذكرى. عند القبر نجد الهدوء والوقار والمكان الأنسب للتأمل في كل ما احتمله نيابة عنا. نحتاج إلى الصليب والقبر كلاهما. لا بد أن نرى الصليب كما هو عندما نقف تحته ومن الضروري أن نتأمل في معناه عند جلوسنا بجانب القبر.

بقلم/ادي كلور

❖-❖-❖-❖-❖

ينبغي أن نخدم الرب كما يستحق ...

أن نعطيه من كنوزنا ولا نحسب الثمن.
أن نقاتل من أجله ولا نحسب الجروح.
ونحلم بدعواه ولا نقلق باننا سنفرط في ذلك.
ونعمل له ولا نطلب راحة ولا إجازة.
أن نحيا له ولا نطلب أية جائزة.
غير أن نعرف اننا نعمل مشيئته.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩